العرب
الإثنين 2021/09/20
السنة 44 العدد 12185

مهرجان «سماع» المصري يحتفي بالابتهالات الإسلامية والترانيم المسيحية

القاهرة - بمزيج ساحر من الابتهالات والتواشيح الإسلامية والترانيم المسيحية انطلقت مساء السبت على مسرح بئر يوسف بقلعة صلاح الدين بالقاهرة فعاليات الدورة الرابعة عشرة من مهرجان "سماع" الدولي للإنشاد والموسيقى الروحية في مصر.

ويهدف المهرجان الذي يقام سنويا تحت شعار "رسالة سلام" إلى تعزيز التواصل الإنساني بين الشعوب والتأكيد على وحدة جوهر الرسالات السماوية وقيم المحبة والتسامح والعيش المشترك.

وتشارك في الدورة الجديدة اثنتان وثلاثون فرقة من رومانيا وفرنسا واليونان وإندونيسيا والسودان ولبنان وبنغلاديش وجنوب السودان واليمن وإسبانيا وفلسطين وفرق تابعة لسفارات عربية وأجنبية في القاهرة إلى جانب الفرق المصرية.

ويحلّ الأردن ضيف شرف على المهرجان هذا العام، ويأتي ذلك في إطار مشاركة مصر احتفالات المملكة الأردنية بمئوية تأسيسها، كما يحتفي المهرجان بتونس وبتاريخ طويل من مشاركات الفرق التونسية في فعاليات الدورات السابقة.

واستهل الفنان انتصار عبدالفتاح مؤسّس المهرجان ورئيسه حفل الافتتاح بمعالجة موسيقية للحركة الرابعة من السيمفونية التاسعة للموسيقار الألماني لودفيغ فان بيتهوفن، الذي اختير شخصية هذه الدورة، ممزوجة بأغنية "نور النبي" من ألحان وغناء محمد الكحلاوي.

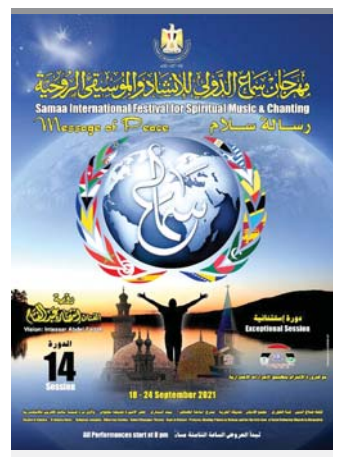

المهرجان يهدف إلى تعزيز العيش المشترك، والتأكيد على وحدة جوهر الرسالات السماوية وقيم المحبة والتسامح

بعدها قدّمت كل فرقة من الفرق المشاركة جزءا من عرضها المرتقب ضمن برنامج المهرجان الممتد حتى الرابع والعشرين من سبتمبر الجاري في قبة الغوري ومسرح ساحة الهناجر وحديقة الحرية وبيت السناري وقصر الأمير طاز.

وقال عبدالفتاح "سعيد لأن هذه الدورة تشهد مشاركة دولية كبيرة بعدما تسبّبت جائحة كورونا العام الماضي في عدم حضور أيّ فرقة من الخارج".

وأضاف "المهرجان يمثل رحلة فريدة عبر الأزمنة والأمكنة، والتلاحم الجماهيري الكبير الذي ما انفكّ يعرفه من دورة إلى أخرى يؤكّد على تفرّد الهوية المصرية بعمقها الثقافي والحضاري، ممّا يدعم رسالتنا التنويرية".

ويُقام بالتوازي مع المهرجان سوق لمنتجات الحرف اليدوية والتراثية في قلعة صلاح الدين، وكذلك تُعقد الدورة السابعة من ملتقى الأديان "هنا نصلي معا" في مجمّع الأديان بحي مصر القديمة.

وتنظم المهرجان مؤسّسة حوار لفنون ثقافات الشعوب تحت رعاية وزارة الثقافة وبالتعاون مع وزارة السياحة والآثار.

وتكرّم الدورة الجديدة مجموعة من الشخصيات البارزة في مجال الإنشاد والموسيقى الروحية منها القارئ الشيخ أبوالعينين شعيشع من مصر، والأب كلاوديو لوراتي الكومبونياني من إيطاليا والموسيقار اليوناني ميكيس ثيودوراكيس.

والإنشاد الديني طقس غنائي قديم في مصر، وهو ما أكّدته الكاتبة المصرية مروة البشير في دراسة عن تاريخ الإنشاد الديني في مصر الذي تعود جذوره إلى عهد الفراعنة، لكن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون يقول نقلا عن أبي علي التنوخي أن "أول ظهور لحلقات الرقص والسماع والإنشاد الديني على المستوى العربي يعود إلى أواخر القرن الثاني للهجرة في بغداد"، ويرجع ماسينيون مجالس الذكر إلى سنة 120هـ/ 738م، أي مع بدايات التصوف الإسلامي.

لكن الظهور الحقيقي لحلقات الذكر ومجالس الإنشاد الصوفي كان بعد عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي يعزى إليه بعث أول خانقاه (زاوية). وكانت تعرف بدويرة الصوفية بالقاهرة يقصدها الصوفيون الوافدون إلى مصر وأجرى عليها أوقافا سنة 569هـ/ 1173م، وهي تعدّ أول زاوية أسّست في مصر ولُقّب شيخ هذه الزاوية بشيخ الشيوخ. وقد انتشر في الآن نفسه بمختلف أقطار العالم العربي الإسلامي، ولاسيما ببلاد الشام والعراق وشمال أفريقيا، أمر الزوايا والطرق الصوفية والرباطات التي تؤوي الزهاد والعبّاد وكل من آثر الحياة الروحية والتأمل.

وقد ارتبط الإنشاد الديني بشكل كبير بالصوفيين نظرا إلى أنهم أكثر من طوّر فيه وقدّم منجزا مؤثرا سواء من حيث الكم أو الابتكار في النصوص والألحان والأداء والرقصات والآلات الموسيقية، فقد كانت الطرق الصوفية تقوم بواسطة الإنشاد الجماعي والمستمرّ بالمساهمة في تشكيل وإعادة تشكيل الذاكرة السنية المشتركة والمخيال الإسلامي الجمعي.

والإنشاد الديني رحلة فن روحي وقد مرّ بمراحل عديدة عملت على تطوّره حتى أصبح منافسا قويا لفنون أخرى، وخرج من عباءته الإنشاد الصوفي من القوالب الإنشادية التي يبتكرها الشباب لمواكبة عصر التكنولوجيا الحديثة مثل فرقة "الحضرة" المصرية.

كما لا يعتبر الإنشاد الديني حكرا على المسلمين، فهو موجود في الكثير من الديانات الأخرى مثل المسيحية التي تعتبر الإنشاد ركيزة دينية، حيث استخدم المسيحيون الموسيقى في طقوس العبادة والصلوات في الكنيسة، وذلك من خلال أداء فردي أو جماعي في شكل جوقة.

وتأسيس هذه الطقوس ليس جديدا، فهي تعود إلى القرن الرابع الميلادي إثر عصر اضطهاد المسيحيين، حيث قام آباء الكنيسة بتأسيس نظام للطقوس الدينية مؤلف بشكل أساسي من الأناشيد التي يقع الترنّم بها في ما يسمى بالترانيم، وذلك في المناسبات المختلفة طوال العام، وإضافة إلى الموسيقى تتكوّن الأناشيد إما من أشعار من الشعر الغنائي أو من العهد القديم وكل كنيسة تضع موسيقى وأناشيد خاصة بها.

فن يسمو بالإنسان ويعزّز الحوار الحضاري بين الشعوب

ليالي الأنس تتحوّل من فيينا إلى دمشق بصوت وعد البحري

الفنانة السورية تستعيد ذكرى أسمهان بصوت أوبرالي على إيقاع الفالس

صوت أنيق يجمع بين الشجن والطرب

كتب الناقد الموسيقي المصري الراحل كمال النجمي في أسمهان "هي الحاجز الصوتي الذي لم تستطع مطربات عصرنا اجتيازه حتى الآن، إنهنّ يقفن وراءها بمسافة كبيرة". أسمهان رغم حياتها القصيرة التي مرّت كالشهب، تركت بموهبتها الفذّة تاريخا فنيا خالدا، وباتت اسما حاضرا في سماء الفن العربي عموما يقدّم حتى الساعة في كبريات دور الفن في الوطن العربي.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق - في لجّة البحر العاصف ذات ليل أنجبت الأميرة علياء المنذر ابنتها، وسط صخب الأنواء وتماوج السفينة في لحظات رعب وقلق وهي تبحر من تركيا إلى الساحل الشامي.

كانت آمال الأسرة أن تنجو من العاصفة بأمان، وهذا ما كان، فسمّت ابنتها الوليدة آمال، وهو الاسم الذي حملته هذه الطفلة التي كانت حياتها القصيرة تراجيدية وقاسية. بدأتها بولادة في البحر وأنهتها بوفاة في النهر.

عاشت آمال حياة صعبة في مصر، حيث لجأت إليها مع والدتها وأخويها من سوريا، وكابدت فيها ضروب الحياة وشظف العيش. وكبرت وصارت فتاة تمتلك جمالا وصوتا ساحرين. سمعها موسيقي مصري كبير هو داود حسني، فسماها أسمهان تيمّنا بمغنية موهوبة مصرية ماتت في ريعان الصبا. وكانت تلك المحطة التراجيدية الثانية في حياتها.

قرأ لها عرّاف ذات مرة أنها ستعلو كثيرا بين الناس وستنجب مرة واحدة وتموت شابة. وهو ما كان، إذ أنجبت أسمهان بنتا واحدة من ثلاث زيجات وماتت في عامها الثاني والثلاثين غرقا في ترعة ماء في النيل وفي يوم ميلاد ابنتها. وكانت تلك ذروة فجائع التراجيديا التي حاصرتها.

لم يكن عمر أسمهان الفني طويلا، لكنها رغم ذلك تركت إرثا فنيا عظيما، تعاملت مع كبار شعراء وملحني عصرها، غنّت من شعر وزجل أحمد شوقي وأحمد رامي وبيرم التونسي وكامل الشناوي. كما لحّن لها كبار موسيقيي عصرها أمثال داود حسني ومحمد القصبجي ورياض السنباطي ومحمد عبدالوهاب ومدحت عاصم. وشكّلت مع شقيقها الموسيقار فريد الأطرش ثنائيا فنيا لا يتكرّر.

عملت في السينما وقدّمت فيلمين فقط، أولهما مع شقيقها فريد الأطرش تحت عنوان "انتصار الشباب"، والثاني جاء تحت عنوان "غرام وانتقام"، حيث ماتت دون أن تتمّه. كتب عنها الكثير وأنجز عام 2008 مسلسل شهير حمل اسمها من تأليف سعيد أبوالعينين وقمر الزمان علوش وأخرجه التونسي الراحل شوقي الماجري وقدّمت شخصيتها سلاف فواخرجي، وحقق العمل نجاحا هائلا.

في ذلك العمل قرّرت جهة الإنتاج ألاّ تستخدم تسجيلات صوتية لأسمهان، بل أن تقوم بتقديم هذه الأغاني إلى شابة سورية ناشئة اسمها وعد البحري، وهي ابنة منطقة السويداء السورية التي هي مسقط رأس أسمهان ذاتها، وكأنّ الزمن يُعيد نفسه، وقدّمت البحري هذه الأغنيات وحقّقت من خلالها نجاحا مدويا .

وريثة الفن

بعد ما يقارب الستين عاما على ولادة أسمهان في منطقة السويداء السورية ولدت في المنطقة ذاتها فنانة شابة جديدة تنهل من فن وإبداع أسمهان الكثير؛ وعد البحري، كانت تلك الفتاة التي امتلكت صوتا ساحرا وقادرا.

بدأت الغناء منذ سن الرابعة، وكانت تغني لكبار المطربين العرب، لكن علاقة وجدانية ومكانية ربطتها بأسمهان، فأدّت أغانيها بالكثير من التماهي والوجد. وشاركت البحري في العديد من الفعاليات الموسيقية والغنائية في سوريا وخارجها في بدايتها الفنية، وكانت مرحلة مليئة بالعثرات. لكن سنحت لها الفرصة عندما تم إشراكها في مسلسل "أسمهان" وأدّت فيه الشابة كل أغاني العمل التي تجاوزت العشرين.

كانت مسؤولية كبرى أن تتصدّى للعمل وهي لا تزال مبتدئة بالفن، لكنها خرجت من التجربة منتصرة وصلبة، وراج فنها في كل أنحاء العالم العربي وارتبط اسمها بالفن الأصيل وخاصة ما قدّمته أسمهان .

أسمهان.. قصة حياة تراجيدية قصيرة مرّت كالشهب، بدأت في البحر وانتهت في النهر، لكنها خلفت سجلا فنيا خالدا

وضمن مشروع التكريم الذي تقدّمه الفرقة الوطنية السورية للموسيقى العربية بقيادة المايسترو عدنان فتح الله، قدّم مؤخرا في دار أوبرا دمشق حفل تكريمي حمل عنوان "تحية إلى أسمهان" أنشدت فيه وعد البحري مجموعة من أهم ما غنت أسمهان عبر مسيرتها الفنية.

وعن التكريم يقول المايسترو فتح الله "تكريم أسمهان جزء أساسي من مشروعنا الفني الوطني، كونها صاحبة أثر كبير في الغناء العربي، والتكريم فرصة لما نطمح إليه في إلقاء الضوء على قاماتنا الإبداعية الكبيرة التي نعتزّ بها، ووعد البحري فنانة قادرة على تقديم أصعب الألحان، والفرقة بكل كوادرها قدّمت الكثير من الجهد لإنجاح الحفل".

ويحمل الجمهور السوري الكثير من التقدير للفنانة أسمهان ويعتبرها درة الفن السوري، ويحمل تقديرا خاصا للفرقة الوطنية السورية للموسيقى العربية التي قدّمت عبر سنوات الكثير من الحفلات التي لاقت صدى طيبا وعزفت مرافقة لكبار المطربين العرب منهم صفوان بهلوان وعفاف راضي وآخرون.

تحية إلى أسمهان

هذا ما ترجمه تهافت الناس على شراء تذاكر الحفل التي نفدت قبل أسبوع من إقامته، والذي بدأ بأغنية "يا حبيبي تعال إلحقني" التي أخذت عن أغنية كوبية قديمة، وضع كلاما مناسبا لها المخرج أحمد جلال وغنتها زوجته الممثلة في أحد الأفلام قبل أن تغنيها أسمهان، وصاغ لها التوليفة الموسيقية العربية الموسيقار مدحت عاصم الذي كان مطلعا على الموسيقى العالمية.

ثم قدّمت أغنية "أهوى" التي كتبها مأمون الشناوي ولحنها فريد الأطرش وظهرت في فيلم "انتصار الشباب". هذه الأغنية وجدت كما قال كاتبها الشناوي بالصدفة عندما دخلت إلى مكتبه وهي غاضبة بسبب تأخّره في كتابة الزجليات المتفق عليها لصالح الفيلم. وعندما أخبره السكرتير بأنها في مكتبه وهي غاضبة طلب منه أن يهدّئها ويطلب لها القهوة، وما هي إلاّ لحظات حتى لاحت الفكرة وبدأ يكتب "أهوى يا مين يقلي قهوة أسقيه بأيدي قهوة".

ثالثة الأغاني كانت "امتى ح تعرف" التي كتبها الشناوي ولحنها الموسيقار محمد القصبجي والتي تميّزت بانسيابية وسلاسة، ومع أغنية "دخلت مرة جنينة" التي كتبها عبدالعزيز سلام ولحنها مدحت عاصم ذهب أداء الفرقة بالجمهور إلى جو تصويري مختلف، حيث الموسيقى الهادئة والأجواء الرصينة التي تحاكي مضمون الكلام بشكل مختلف، بعيدا عن الصيغة التطريبية التقليدية.

الأغنية التالية كانت "نويت أداري آلامي" التي كتبها يوسف بدروس ولحنها فريد الأطرش، ثم الأغنية الشهيرة التي كتبها بيرم التونسي ولحنها محمد عبدالوهاب وهي "ما أحلاها عيشة الفلاح"، ثم الأغنية الشهيرة والصعبة "يا طيور" من زجل يوسف بدروس وألحان محمد القصبجي والتي قدّمت فيها البحري جهدا مضاعفا، كون اللحن يتطلب مهارات خاصة في الغناء الأوبرالي السوبرانو.

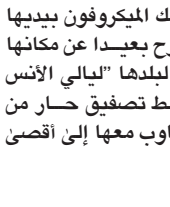

عدنان فتح الله

تكريم أسمهان جزء أساسي من مشروعنا الغنائي الوطني

في لحن "يا طيور" استلهم القصبجي أجواء موسيقى الفالس للموسيقار يوهان شتراوس، واستطاع به إيجاد مزج عربي غربي راق احتلت فيه الموسيقى العربية وجودا حقيقيا في مزاج موسيقي غربي مدروس، وكان عملا يصنّف ضمن المونولوغ الرومانسي، وهو العمل العربي الأول الذي تم تأليفه كاملا على نمط خلقَ تكاملا فنيا بين الموسيقى الشرقية والغربية.

ثمّ تم تقديم اللحن الطربي الشفاف الشهير "يلي هواك شاغل بالي" من زجل أحمد رامي وألحان فريد الأطرش، وكان مسك ختام الحفل باللحن الأشهر "ليالي الأنس في فيينا"، وهو من زجل أحمد رامي وألحان فريد الأطرش، وفيه تتمايز الألحان والإيقاعات، حيث يتجاور إيقاع الفالس مع الإيقاعات الشرقية التطريبية، وذهبت الأغنية نحو التصويرية من حيث استلهام أجواء الرقص التي كانت موجودة في الفيلم، وهي تعدّ درة عمل الثنائي أسمهان وفريد الأطرش.

كان تفاعل الجمهور كبيرا مع الأداء الذي قدّمته الفرقة والمطربة، إذ بدت وعد واثقة من أدائها وحيوية في حركتها على المسرح ومتناغمة إلى حد بعيد مع الفرقة التي كانت هادئة ورصينة وهي تواكب غناء وعد في أدق المراحل وأصعبها. تجلى ذلك في آخر الأغاني التي قدّمت "ليالي الأنس في فيينا"، حيث تحرّرت المطربة من سطوة الحضور الأوبرالي، فتخلّت عن منصة المايكروفون وكذلك النوتة، لتمسك الميكروفون بيديها وتتحرّك على المسرح بعيدا عن مكانها الأصلي وهي تغني لبلدها "ليالي الأنس في سوريا" وسط تصفيق حار من الجمهور الذي تجاوب معها إلى أقصى درجات التجاوب.